السابق قد عاد

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

غسان زقطان

دار العودة - بيروت
إتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين - فرع لبنان

أسباب قديمة

غسان زقطان

اسباب قديمة

دار العودة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة
لدار العودة
١٩٨٢

يطلب من دار العودة ـ بيروت
تلفون : ٣١٠٨٤٠ ـ ٣١٨١٦٥ ـ ٨١٥٣٣٥
كورنيش المزرعة
بناية الريفييرا سنتر
تلكس AWDA 23682 LE

إلى والدي في « الرصيفة » القريبة من « عمان » .

غسان زقطان

الأحاديث

« إلى خليل زقطان في الرصيفة القريبة من عمان »

(١)

قال لي . . .
ـ حجرٌ في الطريق
لهُ ضفّتاهُ
الرمالُ الفسيحةُ
والخضرة المستريحةُ
لكنهُ حجرٌ واحدٌ
في طريقْ .

*

قال لي :
ـ ليس غير انفعالي . . معي

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

ناشراً أضلعي
للرماد الفقيرةِ حولَ القُرى
للقُرى
إذ تُمسي عليها التلالُ
مساءَ البهاني
وإذ يهبطُ القصفُ
إذ يصبحُ الصخرُ
ما دوّرتْهُ الرياحُ
وما أنجبتْهُ الأصابعْ .

*

قال لي . . .
ـ ما أن أنتفتُ
وما أن وقفتُ
وما أن تبينتُ جسمي من الكائناتِ
وميّزتُ صوتي
حتى استفاقتْ جروحُ اليدين

ABU ABDO ALBADAWI

وحتى رأتني الكمائن
واشتدَّ صوتُ السلاحْ .

*

قال لي : . . .
ـ مثلَ أرضٍ تلمُّ أقاليمها
قبلَ أن تعبرَ الطائرات
فهل تنجح الأرضُ
أم تنجح الطائرات . . ؟!.

* * *

الأحاديث

(٢)

زهرة من مساءِ الأحدْ
زهرة للحصان الجميلْ
من مساءٍ سيسقطُ خلفَ العماراتِ
فورَ ابتعادي عن النافذه.

*

مضى زمنٌ
منذ خربَشْتُ اسماً على مقعدي المدرسيّ
مضى زمنٌ
منذ اورقتُ مثل النباتِ الخرافيّ
في الحارةِ الشركسيه

مضى زمنٌ
منذ عينيّ « رندا » . . . . . .
مضى زمن هائلٌ منذ « رندا » .

*

مضى زمنٌ
منذ أطلقتُ قلبي
فحطَّ على شرفةِ السيده
ـ أنتِ يا وردةَ الزمهريرْ
أنتِ يا سيده
أنتِ يا حلةَ الوصفِ
ردِّي لقلبي جدائلهُ
كي يطيرْ .

*

دخلَ المساءُ حقولَ قلبي
وارتدى نخلاً

وباباً عالياً
وفضاءْ
أعدْ لي حنطتي ويديّ
أعدْ لي أول الكلماتْ
فإنّي واحد في الليلِ
مستترٌ بِبُرْدِ الليلِ
ملتَفّ بِبَردِ الليلِ
مُستوفى . . . .
وقد دخلَ المساءُ عليّ .

*

- يا خوفي . . .
إذا تاهتْ حمامتنا
يا خوفي . . على قلبي . . .
. . . سينكسرُ
أعدْ لي ما روى الحجرُ

. . . مضى زمنٌ
على السفر الذي
ألقاهُ في أقدامنا السفرُ .

*

كانت الروسيةُ الشقراءُ
تقرأُ في كتابِ الشعرِ
اسمَ أبي
وتقرأنـي
وتغمضُ قلبهـا حيناً
فأشعرُ أنَّ ثلجاً دافئاً
يأتي من الشباكْ .

*

أقطفُ وردةً من أينْ !!؟
كي أُهدِي لها ورداً
وأدخل في رداءِ الثلجْ !؟ .

*

بين قساوتي ويديكِ
يبزغُ شارعٌ وجلٌ
وتحتَ الضوءِ
حيثُ يعدُّ سكيرٌ سجائرهُ
أعدُّ لكِ اهتماماتي . . .
وأبدأ أين ؟!
أقطفُ وردةً من أينْ ؟!!!.

*

مضى زمنٌ
منذ ألقتْ طيورُ الحساسينِ
فصلَ الشتاءِ على السقفِ
وارتفعتْ في الشتاء
وفي السقفِ أفعى
« وبوصٌ » تلاصقَ في البردِ حتى انحنى
وفي السقفِ « دلفٌ »
من الانحناء

وفوقَ الترابِ الملبَّدِ
وجهانِ
وجهي
ووجهُ أبي في الاناءْ
أعدْ لي زهرةَ الحنّاءْ
أعدْ لي
زهرةَ الحنّاءْ
أعدْ لي
زهرةَ
الحنّاءْ .

*

ويا أُمُّ
ما شرّدتني المدائنُ
إني أشرّدها في دمي
وأتركها عرضةً لارتحالي
وزنبقةً في ذراع القتيلْ

ويا أمُّ . . . .
إذ تتعبين النوافل في آخر الليلِ
ردّي لها ليلها
إن من غابَ
إذ غابَ
ردَّ الجيادَ إلى أهلها .

* * *

غرابة

(١)

يداكَ يا عليّ . . . !!!!
يداكَ نجمتان في السماءْ
يداكَ نخلتان حوّمتْ كواكبٌ عليهما
وحوّمَ الفراشْ
يداكَ يا عليُّ . . . !!!!
. . . ما تشاءْ .

*

أنــا . . .
- يا عليُّ -
اتّكأتُ . . .

على بابِ بيتي
وكانتْ :
أمامي الطريقُ
وخلفي النوافذ
. . . وها أنّني في بياتِ الشتاءْ
تنسِّقني في الصباحِ الحديقه
وأذبلُ بعد صلاةِ العشاءْ

يداكَ يا عليُّ نقشتانِ في الفضاءْ .

*

غرابة (٢)

نهارٌ وأمضي
وأُطلقُ اسمي على كلِّ شيءٍ
وأتركهُ لامعاً في سياجٍ بعيدْ
نهارٌ سألقيهِ من سلّتي
ثم يأتي صغارٌ
يلمّونهُ من ترابِ الحقولِ

ومن قنواتِ المياهِ
... وزيت المكائنْ
ولو ينحني النخلُ ...!!!
لانشقَّ قلبي
وقبلتهُ ألف قبله
... ولكنهُ النخلُ عالٍ
ومنديلُ أُمِّي على كفّها ...

غرابة (٣) *

كأنّي بعينيك تقتفيان البلاد
ترشّانِ ماءً على باب بيتي
كأني بقلبي ...
غباراً خفيفاً ...
سيهفتُ لو مرَّ ظلٌّ عليهِ
كأنّي بهذا المدى مهرجان ..
من الريش والقبعاتِ
أمام الغناءْ ...!!!

تراجعتُ عن لعبتي
وانزويتُ
تراجعتُ عن معطفي
عن ذراعِي
وعن زهرةٍ في قميصي . .
فهل كان عشبُ المراعي
عريضا كما شئتُ . .؟!!
هل كان لي أن أرى غير « كوفيّة »
في الفضاءِ البعيدِ
وهل كان إلاّ المضارب
نوثقُ في ظلِّها . . .
الشمسَ
والشعرَ
والنسوة الطيّعات . . .؟!!
وهل كان إلاّ الخيول . . . إذا آوت الناسُ
نأوي لها . .؟!!.

*

غرابة (٤)

أنتَ تكسرَني في يديكْ
أنتَ تكسرني . . .
فانتبه
إذ تشدُّ على قفصِ الصدرْ
أو مفصلٍ فائرٍ في الذراعْ
. . . أنَّ عظميَ هشٌّ
وأغنيتي تطحنُ الصخرْ
*
أيها المرمرُ الجبليّ
بيتنا ذهبٌ
سقفهُ فضةٌ
وأنا أقربُ الساهرينَ إلى البابْ
لن تفاجئَني الريحُ . . .
أمّا خرجتُ . . .
ولن يدخلَ الثلجُ قبّعتي . . .
أو حذائي .

أطلقتني المرايا الصغيرة
في كفِّ أمي
وأطلقني القشُّ . . .
في سطحِ منزلنا
وأطلقتُ . . .
نفسي إليكْ
فانتبه جيداً
أنتَ . . .
تكسرني
فـي
يديكْ .

*

غرابة (٥)
دون أن يرسمَ
أو يبسمَ
أو يغلقَ عينيهِ كما اعتادْ
قـالَ
ـ ما أبعدَنا . . . !!!

ثمّ ما أبعدَنا !!!

*

وأنـا

ماذا أقولْ

حين تأتيني على ظهرِ بطاقه

نخلةٌ تشبه أمي ..!!

عندما أرجع للبيت بلا حلوى

وأخجلُ ...

آهِ ...

كم أخجلُ في اليومِ ...!!

ثلاثين سنه

*

ثم لو تعذرنا

هذه الأسماءُ إذْ ننسى

فلا شيءَ لنا

ثمةَ الماءُ يسيلْ

من خروقٍ في أعالي السلسله
وأحاديث من العامِ الذي راحَ . . .
وما عاد . . .
فلا تكترثوا
ثمَّ لا تكترثوا
حين أنهدُّ كيومٍ في المساء
آهِ . . . .
شلاّلٌ من الأيام ينهدُّ . . .
وينهدُّ . . . .
ثلاثين سنه .

*

غرابة (٦)

. . . ما بَدَّلْتَني . . .
أنّي أردُّ لكَ الشِباكْ
الزينةُ الأولى يداكْ .
والزينةُ
الأولى
يداك .

* * *

أشخاص

رفيق :

ولنقلْ أنَّ شيئاً مضى . . .

قد مضى . . . .

ولنقلْ أن نجماً من الليلِ أهدى

لبيتٍ على الأرضِ قبعّةً من شجرْ

ولنقلْ أنَّ قبّرة الحقلِ نادتْ على طفلةٍ في الترابِ :

ـ اعقدِي خصلةَ الشعرِ كي تسعديِ في الزواجْ

وليكنْ موتنا

مثلاً . . .

او سدىً . . .

سأرثيك حتى أراكَ على النافذة .

فتاة :

سأطلقُ أسمي عليها
وأجلسُ وحدي
وفيما يجيءُ . . .
سأذكرُ أنّا جلسنا معاً . . . .
على ورق فائضٍ في الفصولِ
ومـا كنتُ أُتقنُ شيئاً جميلاً
لأرسمها
أو أغنّي لها .

*

الرجل :

الرجلُ على زاويةِ الشارعِ
بحثَ طويلاً عن هجرتهِ
في « التوليدو »
في أطباقِ المرأةِ صاحبةِ الدنيا

في المقهى الأخر
سأل كثيراً . . . . .
ثمَّ مضى
لكنّي حين أتيتُ إليهِ
أنا الممتليء بهمِّ الناسِ
وهجراتِ الريف العمياء
قدّمتُ لهُ ابريقَ الصبحِ
وخبزاً مغموساً بالملحِ
وقلبي .

*

المرأة :

في المقهى . . . .
بعد سنينٍ من موعدنا
كانت تجلسُ في الزاويةِ
وتنظر نحو البابْ .

*

الطفل :

ثمّةَ طفلٌ
لم يتعوّدْ أن يتأخرَ بعد غروبِ الشمسِ
يُبكِّرُ في الإيواءِ
إلى فرشتهِ القش
ويحلمُ حول البيتِ الآخرِ
حيث يظلُّ الضوءُ
إلى ساعاتِ الصبح
وحيثُ الحارسُ
ذو القبّعةِ الأجملِ من قبّعةِ أبيه .

*

مطر :

دخلنا إلى لغةِ الغيم . . .
فانتشرَ الطقسُ
هل تفتحينَ المظلّة
أم تغلقينَ المطرْ . . ؟ !

وما كان في يدنا غير ألعابِ أطفالنا !! . .

*

رزق أبو زينة :

من نواةِ الحجرْ
ومن وردةٍ في سياجٍ
. . . هوى أو يكادْ
شقَّ كفيِّهِ
واحتاجَ دهراً
ليوقظ أطفالهُ
صاحبُ الأرضِ . . ذاكَ
الذي لم يزلْ شاعراً
والمعاني لهُ
والنساءُ
اللواتي يفرِّقن بينَ الترابِ
وبينَ الذهبْ .

*

شاعر :

بعد أن تدلفَ المدخلَ الجانبيّ
سوف تبصرهُ جالساً خلف قهوتهِ
جالساً حول عُزلتهِ
يستغيبُ السلاحَ
وأصحابَهُ الغائبين .

*

ذكرى :

لجارتنا
زهرةٌ في الصباحِ
وصوتٌ يسيّجنا بالقصبْ
ستبصرني مرةً خلفَ زهرتها
ثم تنسى
وتقطفني مرةً
ثم تنسى

ولمّا أفيقُ من الليلِ
اغزلُ خيطاً لها في السياجِ
ستنسى خواتمها في يديّ .

*

لودا :

لعينيكِ
إذ تتقنان استطالةَ وجهي
وإذ تبدءان التفاصيلَ
حتى الهدوء الأخيرْ
سلام عليكِ
سلام على غرفة المكتبه
سلام على الثلج والقبعاتِ
سلام على العاملاتِ .
سلام علينا
نمرُّ ونمضي .

* * *

أشخاص أيضاً

« تلك المرأة . . . . »

كيفَ أيتها النجمةُ الباهره
كيف لا تحرقُ الأرضُ قمصانها
حين تأتين نحويِ ؟ !
كيف لا يكسرُ الأُفْقُ جرّتهُ
حين تأتين نحويِ ؟ !
كيف لا أنحني
قبلَ أن تنحني القبّعه
كيف لا أنثني
كيف لا يسكنُ النحلُ في غرّتي

حين تأتينِ نحوي ؟ !!
كيفَ . . . .
أيتها الزوبعه ! ؟

*

« وصاحبي . . »

قبل أن أوقظَ الأسئله
أوقظُ الشعرَ والقلبَ والشهداءْ
أوقظُ النخلَ والرملَ والماءْ
أوقظُ الطالباتِ اللواتي
مراييلهنَّ يدي والسماءْ
قبل أن أوقظَ الأسئله
أوقظُ الأرضَ والبشرَ الهادرين
وأختارُ من بينهم أنبياءْ
صاحبي . . .
ثم هذا الذي صاحبي

ثم أختار من بينهم . .

صاحبي .

*

« آهِ . . . أنْتْ »

كأنَّ الذي يفلقُ الآنَ رمّانة القلبِ
لا يشبهكْ
كأنَّ الذي يَدخلُ الآنَ في ضفّة تُذْهِلُ الماءَ
لا يذكركْ
كأنّكَ لم تكتشفْ بعدْ
كأنّكَ لم تبتكرْ بعدْ
شيئاً جديراً بأنْ يعرفكْ .

*

« . . . ألوان لنفس المرأة »

آهِ . . . . . .

السناجبْ
أكلتْ عشبَ قلبي
آهِ . . . . .
السناجبْ
شربتْ ماءَهُ
لم تُعِدْ ليَّ سرّي
ولم تفتح النافذه
كي أردَّ الصباحَ على جارنا « الأردنيّ »
كيفَ أن السناجبْ
لا تبيعُ النبيذَ ولا تشتريه
ولكنها حين تلقي يديها
على كتف أو ذراع
تُفجِّرُ الوانها الخامده
وتتركها عرضةً للرسائلْ .

* * *

نقوش لبيت الأردني

« إلى أمجد ناصر »

نقش : (١)

كأنّكَ كسّرْتَ قلبي
كأنّكَ هشّمْتَهُ . . . .
وانتظرتَ اعتذاري
كأنّك طوّفتَ . . . . .
وارتحتَ في وهدةٍ . . لا أراك
ولما تناهتْ إلى الأرضِ أجراسُنا
أخرَجَتْكَ البراري .

*

نقش : (٢)

ما جئتُ كي أنتهي وردةً في يديك
ولا قمراً مذعنا
فما زالَ في جبهتي أثرٌ من عراكٍ قديم
وفي خطوتي لعنةُ الإحتجاج
ولي في التفاصيلِ بيتٌ شهيٌّ
وموقدةٌ
دفّأتْ صاحبي في الأغاني
وهذي عصاي
أهشُّ بها زهرةَ الأرضْ

*

نقش : (٣)

من هنا . . .
عبرَ الأردنيُّ إلى نجمةِ الصبحِ
ألّفَ حزبا

وحقلاً من الشعرِ
واحتارَ في ابنتهِ مرتينْ .

*

نقش : (٤)

أيها الأردنيّ
أيها الذهبُ المبتهجْ
خلف هذي التلال المجيدةِ
يرتاحُ فرسانُ قومِكَ
بعد الخروجِ من الغورِ صُعْداً إلى شفقِ السلسله
أطعموا خيلهمْ
وانتحوا جانبَ الخيلِ
وأذاكّروا في النساءِ الوحيداتِ
والضفّةِ الرامحه .

*

نقش : (٥)

من هنا .... عبروا

كوكباً . . .
كوكباً . . . .
من هنا لَمَعَتْ خيلُهمْ تحتَ شمسِ الضحى
كوكباً . . . .
كوكباً . . .
شاهَدَتْها النساءُ .
ورفَّ لها الصبيةُ الرامحون
صفوفاً من الأذرعِ المنتقاةْ
من حدودِ الغبارِ
إلى جثّةٍ في الفلاةِ
ومن جثّةٍ في الفلاةِ
إلى جثّةٍ في الفلاة
ولمّا تنفَّستِ الأرضُ
وانشقَّ صدرُ الحجرْ
تكلّمْتُ .

*

نقش : (٦)

أيها الذهبُ المبتهجْ

آهِ . . . . . .

أبناءنا !!

مضربٌ رامحٌ

في السهوبِ التي ضفيتها الأهازيجُ . . .

والعادياتْ

آهِ . . . .

أبناءنا !!!

« شيّلوا » أيها الأردنيّ

هشّموا شجرَ القلبِ

واستأنسوا كوكباً . . . .

في سياجٍ بعيدْ .

*

نقش : (٧)

تَرَكَتْ بيتها « مأدبا »

ركضتْ ساعةً في سهولِ الشعيرْ
رشّتِ الماءَ خلفَ القطيعِ
وألقتْ على قبر « سلطان » خلخالها
. . . فارتجفتْ سورةُ الفاتحه .

* * *

وردة القصيدة ليديك الوردتين

« هناك صديق يبتدىء ، بالنبي وينتهي بالبلاد ، هذه القصيدة من أجله » .

عَلّمْتَني
وأخذتَ من لغتي الكتابةَ وابتعدتْ
ووقفتَ دوني
لا مكثتَ
ولا رحلتْ
حمَّلتَني تعباً
وبي تعبُ
ورميتني من قمةِ الجبل الوحيدِ

ولم أجد أرضاً
فخفتُ على الجبلْ
. . . انّي أضيفكَ للقصيدةِ وردةً
وأحيلُ وجهكَ صخرةً
وأقولُ
- ما صنعتْ بكَ الدنيا ؟!.

*

أنتَ الذي تهدي زجاجتك الوحيده
وتنامُ ممتلئاً
وتشقى بعدكَ المدنُ البعيدةُ
لا تراكَ
ولا تفتّشُ عن يديكَ الوردتينِ
أقولُ . . .
- كسّرني هواءُ البحرِ
كسّرني مسيرُ الليلِ

كسّرني الحديث اليكَ
كسّرني ابتعادي عنكَ
كسّرني . . . .
مزاجُ المنتمين إلى مكاتبهم
نسمّيهم مراثينا
وآخر ملصقٍ
يلقيهِ آخرُ متعب في الأرضِ
دون حرارةٍ
ويضيفُ للقصصِ الرديئةِ قصةً أخرى
فإذا رأيتَ أصابعي في الأرضِ
خبئها
وخبّيء خلفها بيروت . . .
تلكَ شقيقتي .

*

أنتَ الذي تهدي زجاجتكَ الوحيده
وتنامُ ممتلئاً

وتشقى بعدكَ المدنُ البعيدةُ
لا تراكَ
ولا تفتِّشُ عن يديك الوردتينِ
فلا تقلْ لي
لو تقصّتنا المدينةُ
وانتبذنا شارعاً منها
ولم أحفلْ بغيرِ دمي
ومثوى الآخرينَ . . .
لِمَ انكسرتْ ! ؟ .

* * *

سنونو . . . . .

نقوشٌ على مقبضِ البابْ
أصابِعُنا فيهِ
والنقشُ رايتنا العاليه
نقوشٌ على صدرِ سيدةِ الدارِ
وَهْمُ المساءِ ونرجسهُ فيهِ
والنقشُ وهْمٌ يساورنا
حين ننفيهِ
نقوشٌ تزيّنُ غليون حيدرْ
وحيدرُ بيتٌ من الشعرِ
منفلتٌ من غلالةِ أيّامهِ
ومنبسطٌ مثلَ كفٍّ من الريفِ

يأوي السنونو لهُ . . . .
لم أشاهدْ سنونوةً وهي تأوي
ولكنهُ الشعرُ يدركني
أو يهيمُ بمفردةٍ
ثم يتركها عرضةً . . .
مثلما جاءْ

*

لا شأنَ للمفرداتِ بأسمائها
للرجال بألقابهم
للنساءِ . . . .
ولا أبتغي من زمان التلقّي
يداً . . . .
أو كتابْ
إنني أكمشُ الأرضَ من ياقةِ المفرده
وأُدخلها عنوةً في يدي
ثم أُغمض كفيّ عليها

وأرفعها قُربَ أُذني
وأبدأ بالخضِّ
حتى ترنّ المياهُ
وينثالُ ماءُ الحجرْ
ثم أبسطُ كفيّ
وأنفلها في الفضاءْ
... اجمعوا دهركم أيها الشعراءْ .

*

ربما جاءَ حيدرُ من فجوةٍ
في جدارِ المساءِ ؟
حبا مثل طفلٍ
ولما انتبهتُ على حَبْوهِ
صار سجّادةً للقصيده.

*

ربما كان اسما
وما زاد عن كونهِ ....

أحرفاً في مدارْ .

*

ولكنّني لم أشاهدْ سنونوةً
وهي تأوي
وإن كان حيدر كفّ يحطُّ السنونو عليه .

*

... كأنَّ السنونو
ابتعادٌ عن الأرضِ
يرجمنا بالمياهِ
ويتلو علينا السوَرْ !! .

*

كأنّا معاً
كأنّا « هناك » مع الميّتين الذين « هناك »
كأنّ « هناك »

قريب كما لم نعوّد أصابعنا
أن ترى . . . .
والقرى . . . !!
ليتها لم تكنْ .

* * *

« أشياء أخرى »

مساءٌ وحيدٌ
ونافذةٌ واحده
اناءُ الزهورِ على المائده
زهرةٌ ذبلتْ
أو تكادْ . . .
هذهِ أنتِ .

*

ألمْ تنتبه بعدُ
أنّا الوحيدين
في غفلةٍ من هزيعٍ أخيرْ ؟ !!

ألمْ تنتبه بعدُ
أنّا كسرنا الزجاجْ
وأنَّ الذي لاح خلفَ الخطى
إذ ركضنا معاً
معطفي . . .
عالقاً في السياجْ ؟ !!! .

*

ألذي باعني
مسدّساً مهرّباً
باعني
ذخيرةً مهرّبه
والذي زارني
في مساءِ الأحدْ
لم يعدْ
فاهدئي زوجتي

أهدئي
حين أتلو النشيدْ
وأُطلقُ طيراً من القلبِ
طيراً وحيداً
لشخصٍ وحيدْ .

* * *

شقة الطلبة

ليومينِ جاءا
اضاءا لنا شقتينِ
الثلاثاءَ
والأربعاءْ
أضافا إلى الأرضِ بيتاً جديداً
ورفّا قليلاً
ومدّا لنا لعباً من ورقْ
سفناً
طائراتٍ
وحبلاً من الأرجوانِ القديمْ

*

ليومينِ حطّا هنا
أشعلا كوكَباً خامداً
أطلقا أرنباً في الحقولْ
سفناً في المياهِ
وطائرةً في السماءِ
وحبلا من الأرجوانِ القديمِ
لنا . . .

* * *

أسباب قديمة

(١)

وإذ نلتقي أيها الصديق
رفّان من الأجنحة
وسنوات من القسوة
ومخيّلة واحدة
لن نتبادل الأنخاب
إذ لن يكون هناك من يعصرُ خمراً
للأعياد القديمة .

*

الأقدام التي هدرتْ خلفَ البيوت

وأنصتنا لها واجفين
كانت أقداماً . . . فقط
تهدر خلف البيوت

*

النساءُ اللواتي أثرنَ بهجةَ العشبْ
وسائقَ العربة
وبغلَ الحراثةَ
وأحواضَ الخضارِ
تركنَ على الترابِ السميك
خبزَ الأزواج
ومقصّات العمل
والأصابع الخشنة
وغادرنَ إلى ريفٍ بعيد .

*

رجلٌ وحيدٌ
يُطيِّر عصافيراً

ويشربُ نخب الأرض المنخفضة
والسلالة الغارقة في السمرة والوهم
كأسهُ الممزوج بتراب الأغاني .

*

امرأةٌ ناضرة الطرف
ومبتعدةٌ عن زينتها
شهقتْ طويلاً خلفَ العجلاتِ
وظهر العربه
وإذْ انحدرتْ سحابة
نحو رصاصٍ داكن
في القمم الهائجة جنوباً
جمعت أطراف الحزمة إلى ظهرها
ورويداً . . .
تسرّبَ البللُ الصباحي إلى سلسلةِ الظهر
وحيثُ الآلهة
ارتعشتْ قبّةُ البدن

وسقطَ مطرٌ لم تعرفهُ الخلائقْ .

*

رمّانة القلب
التي فلقناها ذاتَ صيفْ
تزوّجها الدوريُّ المنافس
البطيء في طيرانه
الذي لا يملكُ ريشاً جميلاً لنحسده
أو تاجاً على الرأسِ ....
لنحاولَ اصطياده .

*

المعادن ....!!!
المعادن تتدحرج
تصفرُّ ...
وتعوي ...
وتأتلق في فضاءِ الهوّه
ووسط الهدير

في تلكَ الزاوية بالضبطْ
من نافذةِ البنِّ في مقلتيك
يلمعُ رنين المعدن
ويهدرُ الرعد
جرسُ الآلهة القديم .

*

..... ثم وجدنا قمصاننا
مشدودةً إلى سهامِ الأعداء .

*

أسباب قديمة (٢)

تخبو البلدة
تنكمشُ حتى تدخلَ قبضةَ اليد
ومن ثقوبِ السناسل
تفلتُ الحواكير
وتدلفُ أولَ زريبة

*

تخبو البلده
وتقفل أبوابها بعجلة
وعلى العتبات
لا بد أن تنسى بعض النساء
ـ العرائس القادمات من قرى بعيدة ومجاورة ـ
مكانس البيت
المصنوعة من «نتش» الجبل القريب
ولا بد أن ينسى الرجال أيضاً
أكواب الشاي
وخطوطَ «السيجة» على التراب الممهّد
المرشوشِ بماءِ الشرب .

*

تخفتُ البلدة . . . وتخبو
تطفيءُ نفسها
وتجلسُ في ثوبها كاملةً
دون أن تنسى ولداً في المزرعةِ

أو دجاجةً على السطح .

*

. . . ومن المسالكِ الموصلةِ إلى العاصمة
تترامى فرقعةُ السياطِ . . .
والسنابكْ
وتنحدرُ كوكبةُ الفرسان
جباة الملكْ .

*

أسباب قديمة (٣)
البراري خلف النافذة
التلال المنخفضة جنوباً
العشب القصير . . .
والأخاديد
خطوطُ الكلس في مقاطع الحجر
كل الأشياءِ هناك
كل الأشياءْ . . . .

من أفريز النافذة وحتى الأُفقْ
كانت على الدوامِ
بقعةً خاويةً من الكوكبْ
غامضةً . . .
وبديهيةً كالوالدين
كانت خوفنا في العشيّاتِ
وملعباً لأرواحِ الموتى الندّابة

إليها يذهبُ الموتى
وفي فضائها تطوفُ حاجاتُهم
وتقرقعُ الأمتعة . . .
رغم أننا ندفنهم في الجهةِ الأخرى تماماً
حيثُ الهضبةِ
فالحرشْ
فالجامعْ
فاللوحْ
فجبةُ المقريءِ

ومصحفهُ . . .
كانت سوطَ الأمْ
وغوايةَ الأبْ
وقاموسنا النائي
. . . ومن أجلها شهقنا تحتَ الأغطيةِ
حين سيّجتها الدولةُ
ولمعتْ بين تضاريسها « زعاميطُ » الشرطة .

*

أسباب قديمة (٤)
بلا مرحِ الأب
وبلا مبخرةِ الأم
وبلا نخلةِ الأجدادِ المهزوزةِ دائماً
إلى الأتقياء
بعيداً عن الجري
على حوافِ المياهِ الثقيلة
وصياح الصبية

وهم ينفلون أعشاشَ العصافير
ويكسّرونَ البيض
ويرتجفون من « الملاريا »
ومرارة « الكينيا »
بعيداً عن أرواحِ القتلى الطوافة
حول برك الأولياء
بعيداً عن أملاك العائلة
وحيداً
وموحشاً
وخاوياً
ومنزوعاً من الأسئلة .

* * *

حادثة

الرجلُ ذو الشعرِ الأحمر
الماكر أكثر مما ينبغي
والثقيل أكثر مما ينبغي
الرجل ذو الرقبةِ السمينة
التي تسحقُ الكتفين
والوجه الداكن الحمرة
الرجل الذي يراقبنا دائماً
في الشتاءِ
وفي الصيفْ
في الليلِ
وفي النهارْ . . .

... خرجَ عن طوْرِهِ
صرخَ حتى نفرَ الدمُّ من أصابعِ قدميه
نطحَ الجدران
والسيارات
والمارّه ...
وشهقَ مرةً واحدةً
ثم أفرغَ روحَهُ على الاسفلتِ
قريباً من آخر حافلة بين ...
عمان والزرقاء .

* * *

نحاس للأيام القادمة

الفتيان أيها الصديق . . . !!
الفتيان فارعي القامة
غزيري الشعر
ذوي الجدائلِ المرحة
والسيقان المتينة
رقصوا في الحلبةِ
حتى انكسرتْ مرايا النساء
وخرجوا من الغوايةِ
بعروقٍ نافرةٍ
ووجوهٍ متقدةٍ

وأجسادٍ تأتلقْ .

*

ليس جرسُ الكنيسةِ هذا الذي يرنُّ . . .
. . . إنهُ النحاسْ
يخرجُ من عروقِ الفتية
ويتصلُ بالمعادنْ .

* * *

أسئلة . . . أسئلة . . .

كيف يمكن أن أسرق . . .
. . . . وردة صاحبي الوحيدة
تلك التي بحث عنها طويلاً
ولم يجدها . . !!

*

كيف لي . . . .
أن أعرض عليكِ قلبي
وكل هذا الفساد حولنا !!؟!
كيف لي أن أفعل ذلك
وكل هذه الأمور . . .
تحدث . . !!؟!.

تلك الأشياء الرائعة
تتأخر في طَرقِ نوافذنا
وغالباً ما تأتي بعد فوات الوقت
حين تكون أذرعنا مهدّلة
وأعيننا بلا بريق
وقلوبنا مفعمة بالمرارة
والسكينة .

*

ليس المهمّ
كم من الأطفالِ يولدُ
خارجَ اجتماعاتنا . . .
الثورةُ تكمنُ
في كم من المسرّةِ
هيأنا لهم
. . . علينا أن نفكّر في هذا
دون أن ننسى مرحنا .

* * *

حجارة للآباء . . ولنا . . ؟!

ثلاثُ درجاتٍ من الحجرْ
عليها يجلسُ الآباءُ
بكامل عدّتهم
قساةً كما عهدناهم
وكما لم يريدوا في أيٍّ يوم .

*

علّقتْ جارتُنا الزنجية
ستائرها الثقيلة
فلم نعدْ نرى
كيف يخرجُ الأبنوسُ

من الثيابْ .

*

لن أهزَّ العالمَ
حتى . . . .
. . . لو . . .
أعطوني ذلك المكان .

*

ماذا . . . .
لو كنّا . . . .
أشخاصاً آخرين ؟!!

*

كيف أنادي على بائع التفاح . . . .
وقد ذهب ؟!!

في الطفولةِ

كنّا ننادي على بائع التفاح
وهو يذهبُ
ويجيء .

*

بين السريرِ والغطاء
أحفِرُ لنفسي
وأنامْ .

*

رآني رجلٌ
على قمّةِ القافيةِ
فبكى دماً .

*

نقّرني طائرُ الشعرِ
حتى . . .
تَخَلْخَلْتُ .

* * *

هذا ما نفعله الآن

نحن في الداخلِ
نُمسِكُ الأيامَ من أكمامها
القصيرةِ صيفاً
والقطنيةِ شتاءً
ونجرّها حين تقاوم
ـ وهي كثيراً ما تفعلُ ذلك ـ
ثم نضغطها بين الركبتين
لنعيد ترتيبها
الأحدْ
حديقةُ السبتْ
الثلاثاءْ

جرسْ
الخميسْ
عربةٌ بحصانين
الاثنين
والجمعة
والأربعاء
بلالـين تطيرُ بين الحديقةِ والجرسِ
بعيداً عن العربة .

*

أغنية
أنا أمكرُ الأنبياءِ
وأجملهمْ
فاصطفيني لديكْ
حجّةً في كتابِ الضلالْ
نبرةً للسؤالْ
بدناً هائماً

بين وحي السماءِ
ووحي الرمالْ .
*
المجدُ الذي وُزِّعَ بالتساوي . . .
على الجميع :
أوسمةً للقادة
ومدائحَ للرتبِ الصغيرة
وصوراً للقتلى
أنهى دورتهُ واستندَ على أكياسِ الرملْ
ولك الآن
أن تدخّن لفافة بكاملها
بانتظار الحرب القادمة .
*
يا . . . . . للخسارة . . . .
لقد توقف « أبو أنطون »
عن الغناءْ .

* * *

زكريا . . . وأغنية

لو ذهبنا ـ بأنفسنا ـ
ومعنا ـ زكريا ـ نفسه
إلى كل ما هو اسمه
لالتقينا . .
أنبياء
وعساكر
رماة
ولصوص
تجار
وأماكن
شعراء

وأعضاء جمعيات سريّة
ومعارضة
وقد نجدُ بعض الزعماء أيضاً
ـ وما الغرابة في ذلك ؟!! ـ
فزكريا اسم مهمٌ . . . حقّاً
ومن واجبنا
أن نقنع ـ زكريا ـ بذلك
ثم علينا
أن نقنع أنفسنا
بنقاءِ السريرة
وبياض القلب .

*

أغنية

لهُ الشعرُ ان يبتلينا ويبقى
أسارَ البيوت البعيدة شرقا

لهُ أن يهزَّ الشراعَ ويمضي
كأنْ لم نكنْ ذات يومٍ قريب
على طرف « عمان » بحراً وغرقى .

* * *

امرأة للثلج

المرأةُ القادمةُ من ثلجِ الأصدقاء
من ساحةِ المدينة
الرذاذُ هناك
والسيفُ النحاسْ
وامرأةٌ أحببناها الثلاثه
وتَزَوَجَتْ بلا مراسم
طالبَ هندسةٍ خجول . . . .
هناكَ فتحتُ كفّي
ـ نحيلة بعض الشيء وغامقه ـ
فنقّرتها حمامة . . .
ومن أقصى نبتةِ بُنٍّ إلى الشرقْ

هَرَعَتْ آسيا
عاريةً بلا حكمه
تهزُّ غربالها
وتفاجئنا بالثوراتِ
والشرائعِ
والقادة . . .
وتتركُ للنساءِ
انْ يسمعنَ الضجيجَ
ويعجنَّ الحنّاءَ لسنابكِ الخيلْ

*

المرأةُ تلك . . .
كسَّرتْ أواني القلب
الأواني التي لم نرتبها في أحدٍ من الآحاد
ولم نترك بينها ممرّاً لامرأةَ
فامْتَلأَتْ بالأجسادِ الهائمةِ

وغبار يأتي عادة ولا نعرف من أين
اكراماً للآلهه . . .
أفسحوا للمرأة مكاناً
أيها الأطفال
يا . . . .
نفّالي الأعشاش . . .

*

المرأة تلك
أصابتنا جميعاً
استطال شعرها . . .
ونحن نقف
لمع كثيراً . . . واستطال
حتى المسافة التي . . .
تسبق الجديلة ببرهة . . .
وتترك أثراً في القلب
يشبهُ أن ينكسرَ غامضٌ ما . . .

أن يتساقطَ ثلجٌ على فراءِ السنجابْ
يشبهُ أن تلمَّ امرأةٌ خصلاتِ شعرها
وتغادر « الكرنفال »
... هكذا لمّتنا المرأةُ وغادرت
دونَ أن تنسانا على الموائدِ
أو خلفَ الأقنعةَ
أو خارج الفراء .

*

رجلٌ نشيطٌ ... بلا مفكره
بلا قهوة صباحيه
وبكثير من الأصدقاءِ وبقعِ الأرض
رجلٌ مسرعْ ....
شاربٌ دقيقْ
ووجنتان بارزتان
عَبَرَ ولم يطرقْ

... أو ربما طرقَ طويلاً
ولمّا لم يكنْ خجولاً
فتحَ قلبَ المرأة ...
وعلّقَ قميصهُ
ونظرتهُ
وكتبهُ
وفوضى حركاتِ التحرر
وبخطِّ يدهِ ..
رسمَ بطاقةَ العـرسْ
وكما يدعو إلى اجتماع نقابته
دعاها ...
وانشغل ...
امرأةٌ ورجلْ
امرأةٌ مجهولٌ منجمُ زينتها
ورجلٌ بحثَ بجدٍّ عن صدفةٍ لغرفةِ الإستقبال .

*

مكان

في « لينينغراد »
وفي الثالثةِ صباحاً
كَتَبَ الأسيويّ « غسّان زقطان »
على قنطرةِ جسرْ
... يا للروعه !! .

*

مكان :
بعيداً عن الأعمال الخافته
بعيداً عن السرِّ والعلن
قريباً من اليمين المحترف
واليسار اليافع
وفوضى العبثيين ....
وكل ما هو ثالث في هذا العالم
... بالضبط في أحد شوارع بيروت الغربيه
تمطرُ السماء

على رجلٍ بلا مظلّة
رجل هادىء
يتمزّقُ كشبكةٍ هرمة
ويحلم ببسالة الأيام الخوالي
ومشاغل المنظمة .

*

مكان :

كثيراً ما أخترتُ ـ من أجل الملصق ـ
تلك الصوره
عندما كنّا في «موسكو» معاً
شتاء ١٩٨٠
اليستْ هذه سعادةً أيضاً !! ؟ .

*

سيره :

أُمي فلاحةٌ لا تؤمن بالتعاويذ
وأبي امتنعَ عن الكتابةِ

وواصلَ التدخين
حتى مات
وأنا . . . .
اقتفيت المناشيرَ السريه
حتى وصلتُ إلى « الفاكهاني » .

*

مكان آخر :

لن يتذكرها أحد
ولن يتوقف في بابها مسافر
ستغلق حوانيتها
وتخرب بيوتها الكبيره
وتهرم نسائها
وسيأتي الجراد من جهاتها الأربع
يقرضها كما يقرض خسّة في حقل
وإذ ذاك

لن يسقط عليها مطر السماء
فلا فائده
.
من يزرع في الصخر ؟ !!
ومن يتذكّر ؟ !!
وحدهُ . . . .
القابع في سجنها
كوسادة الحجر .

* * *

ـــ الحافلة الوحيدة بين « الرصيفة » و« عمان » ـــ

بالنسبة للحافلة الوحيده
بين عمان والرصيفه
ذات اللونين
الأخضر والأبيض
والسائق المرح . . .
المزواج . . .
فقد انتهى أمرها الآن
ولم تعد تشغل شوارع البلده

*

نتذكر اقفاص الدجاج . . . . .
ورائحة التبغ الرخيص

والسياسة المثارة دائماً على الواح الصاج
المحروق ، حيث نقف متشبثين بالنتوءات
واعمدة السقف . .
. . الزوادات الفقيرة في اكتافِ عمّال
الفوسفات
والنسيج
والبطاريات الجافّه
ومناديل الورق
والتبغ . . . .
وحقائب الثانويين في مدارس
التاج
وسكينه
ورغدان . . .
ونتذكر بلا شك
المقاعد المهترئة
وعيوننا المبهوره

المثبّتة كنقوش حارّة
في مراييل الطالبات
قريباً من الياقة
حيث تتشابك الألوان
وترتبك . . . فنرسم ما نريد . . .
. . . لن ننسى بالتأكيد
مكر قاطع التذاكر
وتلاعبه بالأسعار
وخفّتهُ الباهره
في الإنتقال من فجوة إلى فجوه
وسط ازدحامنا
وسنتذكر
حاجز الشرطة العسكريه
على مداخل العاصمه
وذلك الجندي اليافع
ذو الملامح البدوية الحاره

الذي كان يرمقنا

بفرح

وحسرة

ومودّه

قبل أن « يتهيأ » لتحية الضابط الشركسي . . .

أشياء يصعب أن نعددها

تركناها

في الحافلة الوحيده

بين « الرصيفه » و « عمان »

ذات اللونين . . .

والسائق المزواج . . .

والتي انتهى أمرها الآن .

* * *

الفهرس

الإهداء	٥
الأحاديث (١)	٧
الأحاديث (٢)	١١
غرابة	١٩
أشخاص	٢٧
أشخاص أيضاً	٣٥
نقوش لبيت الأردني	٣٩
وردة القصيدة ليديك الوردتين	٤٥
سنونو	٤٩
أشياء أخرى	٥٥
شقة الطلبة	٥٩
أسباب قديمة	٦١

حادثة	٧١
نحاس للأيام القادمة	٧٣
أسئلة . . . أسئلة . . .	٧٥
حجارة للآباء . . ولنا . . ؟!	٧٧
هٰذا ما نفعله الآن	٨١
زكريا وأغنية	٨٥
امرأة للثلج	٨٩
الحافلة الوحيدة بين « الرصيفة » وعمان	٩٩

صدر للشاعر

عرض حال للوطن (ديوان مشترك مع محمد الظاهر) ١٩٧٧
رابطة الكتاب الأردنيين

صباح مبكر ١٩٧٩
دار ابن خلدون